

روح المعاني

لما مر وقالوا : لو شئنا لقلنا مثل هذا مكابرة وعنادا ثم أن الظاهر أنهم اقترحوا التبديل والاتيان بطريق الافتراء قيل : لا مساغ للقول بأنهم اقترحوا ذلك من جهة الوحي فكأنهم قالوا : ائت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحي كما أتيت بالقرآن من جهته ويكون معنى قوله : ما يكون لي الخ ما يتسهل لي ولا يمكنني أن أبدله لما في الكشف من أن قوله : : إني أخاف إن عصيت ربي يرد ذلك ووجه بأنهم لم يطلبوا ما هو عصيان على هذا التقدير حتى يقول في جوابهم ما ذكر ونظر فيه بأن الطلب من غير أذن عصيان فإن لم يحمل ما يتسهل لي على أن ذلك لكونه غير مأذون كان الجواب غير مطابق لسؤالهم لأن السؤال عن تبديل من اﷻ تعالى وهو E قال : لا يمكنني التبديل من تلقاء نفسي في الجواب وإن حمل عليه فالعصيان أيضا منزل عليه وأجيب بأن صاحب الكشف حمل ما يكون على أنه لا يمكن ولا يتسهل والعصيان يقع على الممكن المقذور لأنهم طلبوا ما هو عصيان أو ليس والمطابقة حاصلة بل أشدها لأن الحاصل أما التبديل من تلقاء نفسي فغير ممكن وأما من قبل الوحي فأنا تابع غير متبوع نعم لا ينكر أنه يمكن أن يأتي وجه آخر بأن يحمل على أنه لا يحل لي ذلك دون أذن وصاحب الكشف لم ينفه .

وذكر بعض المحققين أنه لامساح لحمل مقترحهم على ما هو من جهة الوحي لمكان التعليل بإني أخاف إلخ إذ المقصود بما ذكر فيه معصية الإفتراء كما يرشد إلى ذلك صريح ما بعده من الآيتين الكريمتين وحينئذ لا يتحقق فيه تلك المعصية ومعصية إستدعاء تبديل ما اقتضته الحكمة التشريعية لا سيما بموجب لقتراح الكفرة ليست مقصودة فلا ينفع تحققها وهو كلام وجيه يعلم منه ما في الكلام السابق من النظر بقي أنه يفهم من بعض الآثار أنهم طلبوا الإتيان من جهة الوحي فعن مقاتل أن الآية نزلت في خمسة نفر عبداﷻ بن أمية المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبداﷻ بن أبي قيس العامري والعاص بن عامر بن هشام قالوا للنبي صلى اﷻ عليه وسلم : إن كنت تريد أن نؤمن لك فائت بقرآن ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وإن لم ينزل اله تعالى عليكفل أنت من نفسك أو بدله فإجعل مكان آية عذاب آية رحمة ومكان حرام حلالا ومكان حراما وربما يقال : إن هذا على تقدير صحته لا يأبى أن يكون ما في الآية ما أشار اليه تالي الشرطية الثانية من كلامهم فتدبر وقوله سبحانه : قل لو شاء اﷻ ما تلوته عليكم تحقيق لحقية القرآن وأنه من عنده سبحانه إثر بيان بطلان ما اقترحوه على أتم وجه وصدر بالأمر المستقل إظهار الكمال الإعتناء بشأنه وإيدانا بإستقلاله مفهوما وأسلوبا فإنه برهان دال على كونه بأمر اﷻ تعالى ومشئته كما ستعلمه إن

شاء اﻻ تعالى وماسبق مجرد إخبار بإستحالة ما إقترحوه ومفعول المشيئة محذوف ينبىء عنه
الجزاء كما هو المطرد في أمثاله ويفهم من ظاهر كلام بعضهم أنه غير ذلك وليس بذلك وهو
ظاهر والمعنى أن الأمر كله منوط بمشيئته تعالى وليس لي منه شيء أصلا ولو شاء سبحانه عدم
تلاوتي له عليكم وعدم إدراككم به بواسطتي بأن لم ينزله جل شأنه علي ولم يأمرني بتلاوته
ما تلوته عليكم ولا أدراككم به أي ولا أعلمكم به بواسطتي والتالي وهو عدم التلاوة والإدراء
منتف فينتفي المقدم وهو مشيئته العدم وهي مستلزمة لعدم مشيئته الوجود فانتفاؤه مستلزم
لإنتفائه وهو إنما يكون بتحقق مشيئة الوجود فثبت أن تلاوته E للقرآن وادراءه تعالى
بواسطته بمشيئته تعالى